إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات يوليو ٢٠٢٢م

مخافة الله

مخافة الله هي بداية الفضيلة، ويقال إنها وليدة الإيمان. إنها تزرع في القلب عندما يسحب الرجل ذهنه من عوامل الجذب في العالم لجمع أفكاره، ويمضي من التشتت إلى التفكير في الدهر الآتي.[٥]

إذا أراد الإنسان أن يصل إلى محبة الله، فلا بد أن يكون لديه مخافة الله. الخوف يولد الحزن، والحزن يقود إلى الشجاعة. عندما ينضج كل هذا في الروح، يبدأ في أن يؤتي ثماره في كل شيء. وعندما يرى الله هذه الثمار الجميلة في النفس، يجذبها إلى نفسه، مثل البخور المختار، ويفرح بها مع ملائكته إلى الأبد، ويملأها بالفرح، ويحميها بكل طرقها، ليسمح لها بالوصول إلى مكان راحتها دون ضرر. ثم، عندما الشيطان الحارس الأعلى يحوطها، فإنه لا يعود يهاجمها. إنه في الواقع يخشى أن يقترب منها بسبب هذه القوة العظمى. فلتقتني هذه القوة حتى تخشاك الشياطين، وتكون أعمالك نوراً والأشياء الإلهية فرحاً حلواً. حلاوة الحب الإلهي تلك هي أحلى بكثير من العسل. العديد من الرهبان والعذارى، الذين يعيشون في جماعات رهبانية، إذ لم يتذوقوا هذه الحلاوة الإلهية ولا تلقوا القوة الإلهية، اعتقدوا أنهم حصلوا عليها بالفعل. ولكن، بما أنهم لم يبذلوا أي جهد للحصول عليها، فإن الله لم يعطهم إياها. من يسعى جاهداً للحصول عليها سوف يكتسبها بالتأكيد من خلال رحمة الله. لأن الله لا يعتد بالأشخاص. عندما يرغب الإنسان في أن يكون في نفسه نور الله وقوته، وبالتالي يتجاهل كلاً من إساءات هذا العالم وشرفه، ويكره كل شيء في العالم وراحة الجسد، ويطهر قلبه من كل الأفكار السيئة، فإنه عندما يقدم لله الصوم والدموع ليلاً ونهاراً بلا توقف، وكذلك الصلوات النقية، فإن الله يغنيه بهذه القوة. اجتهد للحصول على هذه القوة - وسوف تقوم بكل أعمالك بهدوء وسهولة، وسوف تتلقى جرأة كبيرة تجاه الله وسوف يمنحك كل ما تطلبه.[٦]

مخافة الله ذات شقين: في المبتدئين وفي الكاملين. إن مخافة الرب هي بداية الحكمة. تعالوا يا أولادي، اسمعوني: سأعلمكم مخافة الرب. بمخافة الرب يبتعد الناس عن الشر، وحيث توجد المخافة، هناك يتم حفظ الوصايا. بداية الحياة الحقيقية في الإنسان هي مخافة الله: ولكنها لا يمكن

---

[٥] القديس إسحاق السرياني، العظات النسكية (دير التجلي المقدس)، عظة ١، ص ١١٣

[٦] القديس أنطونيوس الكبير

أن تتحمل البقاء في النفس مع أفكار مشتتة. اجتهد لجعل مخافة الله بمثابة أساس تقدمك، وفي غضون أيام قليلة ستجد نفسك على أبواب المملكة، دون التجول في الطريق. أما بالنسبة لمخافة الله الثانية الكاملة فإنه مكتوب: طوبى للرجل الذي يخاف الرب، والذي يفرح كثيراً بوصاياه.[٧]

هناك، كما يقول القديس باسيليوس، ثلاثة مراحل يمكننا من خلالها إرضاء الله. الأولى، هي الخوف من العقاب. هذا يجعلنا جديرين ونحن في مكان العبيد. والثانية، حالة العبيد الذين يعملون من أجل المال، وينفذون الأوامر لتحقيق مكاسب لنا، وبذلك يكسبون الأجر الذي نعطيه لهم. والثالثة هي حالة الأبناء، حيث نجاهد من أجل الخير الأسمى. لأن الابن، عندما يصبح ناضجاً، لا يفعل إرادة والده بسبب الخوف من التعرض للضرب، ولا للحصول على مكافأة منه، بل لأنه يعرف أنه محبوب. إنه يحب والده ويكرمه، وهو متأكد من أن جميع خيرات والده هي ملكه. مثل هذا الشخص يستحق أن يسمع، "إذاً أنت لست بعد عبداً بل ابناً وإن كنت ابناً فوارث لله بالمسيح". وكما قلنا من قبل، فإنه يتوقف عن الخوف من الله بهذا الخوف الأولي، ولكنه يحبه حقاً، وهكذا يعلن القديس أنطونيوس: "لم أعد أخاف الله". فقال الرب لإبراهيم بعد تقدمة ابنه: "الآن عرفت أنك تخاف الله". هذه علامة على أن الخوف الكامل ينتج من الحب. ما الذي يشير إليه في قوله: "الآن عرفت؟" لقد كان إبراهيم كريماً، وفعل أشياء كثيرة، بأمر من الله. لقد أطاع الله ولم يشفق على ابنه الوحيد. لقد انتقل من مكان إلى آخر في أرض غريبة بين شعب كان وثنياً، حيث لم تكن هناك مخافة الله، وقبل كل شيء تحمل الاختبار المخيف لتقديم ابنه الوحيد. بعد هذه الأشياء، قال له الله: "الآن عرفت أنك تخاف الله". من الواضح أنه كان يقصد ذلك الخوف الكامل الذي اقتناه القديسون. لذلك لم يعودوا يفعلون مشيئة الله خوفاً من العقاب ولا رغبة في الحصول على مكافأة، بل بمحبة يخشون أن يفعلوا أي شيء منفصل عن إرادة الحبيب، وهكذا يقول: "المحبة تطرد الخوف". لم يعودوا يتصرفون من منطلق الخوف، لكنهم بدلاً من ذلك يخافون من منطلق الحب. هذا، إذن هو الخوف الكامل، لكن الخوف الكامل لا يمكن أن يتحقق إذا لم يكن لدى الرجل هذا الخوف الأولي. لأن الكتاب المقدس يقول: "بدء الحكمة مخافة الرب". ومرة أخرى، "البداية والنهاية هي مخافة الله". إنه يسمي البداية ذلك الخوف الأولي الذي هو الخوف الكامل النهائي، الذي ينتمي إلى القديسين. يأتي الخوف الأولي من حالتنا الخاصة. هذا يحافظ على الروح، مثل الطلاء. كما هو مكتوب، "بخوف الرب، يبتعد كل إنسان عن الشر". إذا تحول جميع الناس عن الشر بسبب الخوف من العقاب، كعبد يخاف من ربه ، فإنه يفعل بعض الخير، ويبدأ في ترجي مكافأة عن أعماله الصالحة تماماً كخادم مستأجر.

[٧] كتابات من الفيلوكاليا عن صلاة القلب.

عندما يستمر في الهروب من الشر، كما نقول، بسبب الخوف كعبد، وفعل الخير من أجل الرجاء مثل العبد المستأجر، ويقضي الوقت مع الله، وأيضاً يلتصق بالله، فإنه في النهاية يتذوق ويأتي إلى تجربة معينة من الخير ولا يعود يرغب في أن يكون بعيداً عنها. يقول الرسول: "لأن من سيفصلنا عن محبة المسيح؟" من ثم يحقق حالة الابن، ويحب الخير من أجله ويخاف لأنه يحب. هذا هو الخوف الكبير والناضج. لهذا السبب يعلمنا النبي عن الفرق في هذا الخوف ويقول: "هلموا أيها البنون استمعوا لي فأعلمكم مخافة الرب". ثبتوا عقولكم في قول النبي هذا. انظروا كيف أن كل كلمة لها قوتها. إنه يقول أولاً، "هلموا"، ليدعونا إلى أن نأتي إلى الفضيلة. ثم يضيف، "البنون".

يسمي القديس أولئك الذين يتحولون بكلماتهم من الطرق الشريرة إلى الفضيلة "البنون". وكما يقول الرسول: "أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم". ثم بعد أن دعانا إليه ودفعنا إلى هذا التحول يقول: "فأعلمكم مخافة الرب". فكر جيداً في جرأة القديس. إننا عندما نرغب في قول شيء عن الحياة الروحية نعلن دائماً: "هل ترغب في مناقشة وكشف شيء يتعلق بمخافة الله أو أية فضيلة أخرى؟" لكنه يتصرف بشكل مختلف ويقول بجرأة: "هلم أيها البنون، استمعوا لي، فأعلمكم مخافة الرب. من هو الإنسان الذي يهوى الحياة ويحب كثرة الأيام ليرى خيراً؟" ثم كما لو أن أحدهم أجاب: "أنا أفعل، علمني كيف أعيش وأرى أياماً صالحة". فيشرع في تعليمه قائلاً: "صن لسانك عن الشر وشفتيك عن التكلم بالغش". انظر إذاً كيف يقطع مصدر الشر بخوف الله. الحفاظ على لسانك من الشر هو لا تسيء إلى ضمير جارك بأي شيء ولا تتحدث بالشر أو تكون سريع الانفعال. "وشفتيك التي لا تتكلم بالغش." أي لا تتحدث من أجل خداع جارك. ثم يأمر، "حِد عن الشر". إنه يتحدث في البداية عن بعض الخطايا والنميمة والخداع. ثم يمضي في الحديثعن جميع الخطايا بوجه عام. "حِد عن الشر". وهذا يعني، الهروب من كل الشر والتحول بعيداً عن كل الأشياء التي تؤدي إلى الرذيلة. كما أنه لا يقول ذلك مرة أخرى ثم يلتزم الصمت، لكنه يأمر: "وإفعل الخير". لأنه يمكن أن يحدث أنه على الرغم من أن الرجل لا يخطئ ، إلا أنه لا يفعل أي خير. عندما لا يؤذي الرجل أحداً، فإنه لا يظهر الرحمة عندما لا يكره، لأنه لا يحب. ثم يقول النبي: "حِد عن عن الشر وافعل الخير". انظر كيف يكشف عن نتائج الحالات الثلاثة التي تحدثنا عنها سابقاً. كيف يقودنا الخوف من الله إلى رفض الشر وهكذا نصبح مرتبطين بالخير. لأنه إذا كان الإنسان جديراً برفض الشر والهروب منه بشكل طبيعي، فيمكنه أن يعمل أشياء جيدة تقوده على الطريق مثل القديسين. بعد أن قال هذا، فإنه يقود إلى عواقبه ، قائلاً أيضاً: "أطلب السلامة وإسعَ وراءها". غير راضٍ عن القول فقط : "أطلب"، لكنه يضيف: "اركض وراءها بسرعة، حتى تتمكن من الإمساك بها".

لقد سمعنا الآن ما هو الخوف الكامل للقديسين وما هو الخوف الأولي الذي ينتمي إلى حالتنا المتواضعة، وكيف يمكننا الابتعاد عنها ، وإلى أين نأتي بخوف الله. أخيراً، نحن نتوق إلى فهم كيف

تحدث مخافة الله، وللقيام بذلك يجب أن نقول ما الذي يدفعنا بعيداً عن مخافة الله. يخبرنا الآباء أن المرء يقتني مخافة الله بإبقاء فكرة الموت في ذهنه، وبتذكر العقاب الأبدي، وبفحص ما فعله بالنهار كل مساء، وما فعله بالليل كل صباح، وبعدم السماح لنفسه قط بإطلاق العنان للسانه، والتقرب من شخص لديه مخافة الله ليكون مرشده الروحي. ذات مرة، قال أخ لأحد الشيوخ: "يا أبي ماذا أفعل لأتعلم مخافة الله؟" فقال: "إذهب وتتلمذ على يد شخص لديه مخافة الله، ومن مخافته لله تعلم كيف تخافه". إننا نبتعد عن مخافة الله عندما نفعل العكس. أي عندما لا نتذكر موتنا، وعذاباتنا، وعندما لا نلتفت إلى حالتنا، أو نفحص كيف نقضي وقتنا، بل نبقى غير مكترثين ومنشغلين بأشياء كثيرة، مشبعين حريتنا، ومنغمسين في الملذات وهذا أسوأهم جميعهم لأن هذا هو الهلاك التام. لأن أي شيء يدفع مخافة الهه بعيداً مثل إشباع أهوائنا؟ بالتالي، عندما سُئل الأنبا أغاثون عن الانغماس في الملذات قال إنه يشبه النار العظيمة التي عندما تشتعل يهرب الناس وتتدمر تماماً ثمار الأشجار المحيطة بها. أيها الرب الصالح، أنت تعرف قوة هذا الهوى ودماره. وعندما سُئل ثانية: "هل الأمر خطير حقاً؟" قال: "لا يوجد ما هو أخطر من الانغماس في الملذات. إنه يهيء التربة لكل الرذائل لأنه يبعد مخافة الله عن النفس".[٨]

تُمنح تلك المخافة كعطية للشخص الذي يلجأ إلى الله بإيمان. إنها نوع من الإستنارة وإنعكاس للإيمان. إنها ناتجة عن النعمة الإلهية. الشخص الذي اقتنى مخافة الله في قلبه يقف أمام عظمة الله بخشوع ويدرك فقره الروحي. إن هذا الخشوع والمهابة العميقة (مخافة الله) هو الذي يحفز النفس لتكريس كل كيانها لله خالق الجميع. ومثل عبور شعاع الشمس خلال شق فتنير المنزل وتظهر حتى أدق ذرات الغبار، هكذا عندما تدخل مخافة الرب قلب الإنسان فإنها تكشف كل خطاياه. دعونا نرنم مع المرتل قائلين: سمر خوفك في لحمي لأنه أي شيء أكثر عظمة وكمالاً من مخافة الله؟ لا شيء بالطبع. لقد قال القديس غريغوريوس اللاهوتي: "بدء الحكمة مخافة الله. لأنه حيث توجد المخافة، تُحفظ الوصايا، وحيث تُحفظ الوصايا يتنقى الجسد، وحيث يتنقى الجسد، يُشرق هناك النور، وإشراق النور يشبع الشهوة التي تفوق كل شهوة. ليمنحنا الله جميعاً مخافته الإلهية.

[٨] . دوروثيئوس أسقف غزة